Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويشير فى تلك الكلمة إلى فروق بين العلوم والفنون فى هذا الصدد ، فيقول إن للعلم حقاً علينا ، وهو حق الانتباه والتأمل ، ولكن الفنون ليس لها ذلك الحق ، لأن غايتها المسرة والإمتاع ، ووظيفتها أن تعجب . ولا وظيفة لها غير ذلك .. فيجب أن تكون جذابة بغير شروط .. وهناك فرق بين قصيدة تنشد ، وبحث يكتب فى الهندسة الوصفية ، ومن الواجب ألا تكلفنا مسرات الفنون مشقة .

ومن علماء العرب ونقادهم من ينحون هذا المنحى فى إيثار السهولة والوضوح ، والتيسير على متلقى الأدب فى إدراك فحوى الكلام ، ويجعلون من شروط الفصاحة والبلاغة أن يكون معنى الكلام واضحا ظاهراً جليا ، لايحتاج إلى فكر فى استخراجه ولا فى فهمه ، وسواء كان ذلك الكلام الذى لايحتاج إلى فكر منظوماً أو منثوراً .

وقد أكد الخفاجى فى « سر الفصاحة » هذا الرأى وقال إنه احتاج فيه إلى تفصيل لأن أبا إسحاق إبراهيم بن هلال الصابى غلط فى هذا الموضوع ، فزعم أن الحسن من الشعر ما أعطاك معناه بعد مطاولة ومماطلة ، والحسن من النثر ما سبق لفظه ! .

ورأى أن الصابى فرق بهذا بين النظم والنثر فى هذا الحكم ، مع أنه لا شبهة تعترض المتأمل فى أنه لا فرق بينهما . قال الخفاجى : والدليل على صحة ما ذهبنا إليه أن الكلام غير مقصود فى نفسه ، وإنما احتيج إليه ليعبر الناس عن أغراضهم ، ويفهموا المعانى التى فى نفوسهم . فإذا كانت الألفاظ غير دالة على المعانى ، ولا موضحة لها ، فقد رفض الغرض فى أصل الكلام ، وكان ذلك بمنزلة من يصنع سيفاً للقطع ، ويجعل حده كليلا ، ويعمل وعاء لما يريد أن يحرزه ، فيقصد إلى أن يجعل فيه خروقاً تذهب ما يوعى فيه ، فإن هذا مما لا يعتمده عاقل ! .

ثم لايخلو أن يكون المعبر عن غرضه بالكلام يريد إفهام ذلك المعنى أو لايريد إفهامه . فإن كان يريد إفهامه ، فيجب أن يجتهد فى بلوغ هذا الغرض ، بإيضاح اللفظ ما أمكنه . وإن كان لايريد إفهامه فليدع العبارة عنه فهو أبلغ فى غرضه[1] .

ولكن ذلك الرأى لا يصدق تمام الصدق ، ولا يكون صحيحاً كل الصحة إلا إذا كانت درجة التأثر بالعمل الفنى واحدة أو متقاربة فى الأقل ، وإلا إذا اتحدت بواعث

---

(١) سر الفصاحة ٢٥٩ .